

التفسير الصوتي والصوّاتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

* د. حمادي الموقت.

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، بني ملال – خنيفرة، المغرب.

البريد الإلكتروني: aboutayhana1@gmail.com

ملخص البحث

تروم هذه الورقة تسليط الضوء على النظام الصوتي والصوّاتي لسورة العصر، وما تسعى فيه مخرجاته من تأكيد القوة والصرامة التي تحويها القضايا المصيرية للسورة انطلاقاً من بنيتها المقطعية الصوتية والتطريزية لتبرير توجه السورة وغايتها المنهجية، ومن ثم محاولة جادة لسبر أغوارها وبعدها الإعجازي استناداً إلى النسق الصوتي نفسه وباستقلالية شبه تامة عن المكونات اللغوية الأخرى: الصرفية والنحوية والمعجمية والبلاغية...، من منطلق أن الصوت باستطاعته وحده استيعاب النص القرآني وتأويل دلالات سورته؛ انطلاقاً مما تحدّثه ظواهره من تأثير يَبَيّن على السامع في طريقة التشكيل الصوتي والإيقاع العالي. ولتفعيل هذا المسعى؛ جاءت هذه الدراسة لتبرز دور الخصائص النطقية لأصوات اللغة في توجيه المعنى القرآني: سورة العصر نموذجاً، مُبلّوِّرين فكرتها من خلال ملاحظتنا لحضور أصوات صامتة متباعدة على مستوى الصفات والمخارج، لكن تباينها هذا؛ حَوَى تناغماً تاماً على مستوى التركيب الداخلي لمفرداتها كما توضح ذلك دَفَّتْهَا "العصر" و"الصبر"، اللتان تفصحان عن تناسقهما وتجانسهما الصرف-صوتيين وفي تحديد دلالات السورة ومعانيها الربانية الموجهة.

ABSTRACT :

This paper aims to shed light on the phonic and phonological system of the Surat AL-Asr, and the endeavour of its output to assert the strength and rigour of the fateful issues of the Surat, based on its sonic and prosodic structure to justify the direction and purpose of the Surat. And almost independently of the other linguistic components : morphological, grammatical, lexicon and rhetorical... From the perspective that the sound alone can absorb the Quranic text and interpret the meanings

* المؤلف المرسل: د. حمادي الموقت aboutayhana1@gmail.com

of its Surats ,based on the clear effects of its phenomena on the hearer in the sound configuration and high rhythm.In order to activate this endeavour,this study aims to highlight the role of the linguistic characteristics of the voices of the language in guiding the Quranic meaning :Al-Asr as a model,explaining its idea by observing the presence of different silent voices on the level of attributes and exits .However,this variation is completely consistent with the internal structure of its vocabulary as it is manifest in its first and last words:"Asr" and "Sabr" ,which reveal their harmony and homogeneity in their acoustic aspect and in determining the significance of the Surat and its divine guiding meanings.



توطئة:

سورة العصر المباركة من السور المكية القصار، يبلغ عدد آياتها ثلاث (3)، وتأتي في الرتبة الثالثة بعد المائة (103) من ترتيب سور القرآن الكريم، بين سورتي التكاثر و الهمة المكيين كذلك؛ تأكيداً على قضايا العقيدة واليوم الآخر، والبعث والحساب، والجنة والنار، والإيمان والكفر، خلافاً للسور المدنية التي تركز خطابها على المسلمين والمؤمنين موجهة إياهم إلى العبادات والمعاملات وحسن الأخلاق...

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

في حين تجلّي سورة العصر المكّية موضوع الورقة "منهجاً كاملاً للحياة البشرية كما يريدّها الإسلام، إذ تُبرز معالم التصوّر الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة"¹. وذلك بوضع الدستور الإسلامي كلّّه في كلماتٍ معدوداتٍ تصف حقيقة الأمة المسلمة ووظيفتها، وغايتها، ومنهجها الوحيد. لتكون بذلك قد حوت بين آياتها أعظم موعظة، و بأوجز عبارة، مُصدّرة بقسَم إلهي بواحد من مخلوقاته وهو "العصر" مما يوضح سبب سعادة الإنسان أو شقاوته، ونجاحه في هذه الحياة أو خسارانه²، إذا ما رغب في أو عن منهج الإيمان والعمل الصالح الذي سطرته السورة في قيمتي الحق والصبر.

والحق أن الاجتراء على تفسير النص القرآني، وتأكيد معانيه في منأى عن نظام لغوي متماسك تشترك فيه وحدات محكومة بمعايير وقوانين متماسكة مع بعضها بالشكل الذي لا يمكن فصل غراها، لهو أمر مخوف بمخاطر اللحن ومجانبة الصواب، إذ لا يمكن فصل مستوى عن آخر، ذلك لأن النظام القرآني له طبيعة إلهية تعمد التنسيق والتنظيم بشكل أعجز معاصريه ولاحقه على الإتيان بمثله. وحسب الذي يشفع لنا في خوض تحدي التفسير الصوتي للنموذج القرآني المطروح؛ على اعتبار أننا نرى أنه سيسعفنا في التأكيد على الوجه الإعجازي للسورة الكريمة ولآياتها، هو حديث الترغيب والحث على مدارس النص القرآني ومحاولة تدبر دلالاته حيث قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة: "قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ..."³. أما الإشكال الذي تطرحه السورة في ذاتها

¹ رفيق، محمد بن أحمد، مكان الدرر في محاور السور، دار الكتب العلمية، 2014، ص 673.

² الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، دار الصابوني، ص 600.

³ رواه مسلم.

-ودفعنا إلى الخوض فيه- فيرتبط بخصوصيتها الإيجازية، وكفايتها اللفظية، في تلخيص حياة الإنسان وتوجيهه إلى ما ينبغي القيام به، من زاوية ما تسعى الأسئلة التالية طرحه:

- هل التحليل الصوتي كفيل بفهم واستيعاب إعجازية السورة؟
- وإلى أي حد يسهم البناء المقطعي للسورة على مستوى النوع والقصر والطول والتوسط والفتح والغلق في جذب السمات الإيقاعية من النبر والتنغيم وبالتالي تأكيد دلالة السورة وتركيز مقصدياتها؟
- كيف يمكن للصوائت أن تكون علامة فارقة في التشكيل الدلالي والمقصدي للسورة؟ إلى غيرها من الإشكالات التي تسعى هذه الدراسة في الإجابة عنها، وبالتالي تحقيق الأهداف التي رسمنا خطوطها فيما يلي:
- إبراز دور الأصوات الموظفة في سورة العصر في ترجمة المعاني والمقاصد الشرعية التي احتوت عليها السورة؛
- الكشف عن السر الإعجازي للسورة استنادا إلى المكون الصوتي باعتباره أبسط المكونات اللغوية وأولها في تشكيل الكلمات على الإطلاق؛
- ربط أصوات السورة بمعاني آياتها العتاق؛
- ثم أخيرا؛ إبراز دور التشكيل الصوتي في تحقيق جماليات اللفظ القرآني، وقوته، وبلاغته. وعلى هذا؛ ارتأينا أن نعالج موضوع دراستنا، من خلال ثلاثة محاور نراها معتبرة: خصصنا أولها للإجابة عن تساؤل: لم الاختصار في تحليل السورة على المستوى الصوتي دون مستويات أخرى؟ على أننا سنبين في المحور الثاني الخصائص الصوتية أو الصرف-صوتية النطقية للأصوات اللغوية التي ركبت نسق السورة الداخلي ودورها في توجيه معانيها؛ في حين انكب المحور الثالث على دراسة البعد الصوتي للظواهر التطريزية المؤتة للسورة بناءً على مقاطعها ونغماتها ونبراتها ووقفاتها وترددها وغير ذلك مما يجلي الرؤية التفسيرية لمعاني سورة العصر.

1- لماذا المستوى الصوتي؟

لقد تأكد لعلماء اللغة عموماً؛ و علماء الأصوات على وجه التحديد أن المرحلة الأولى لإنتاج الحرف أو المقطع هو المادة الخام والصوت النابع من الهواء الخارج من آلة الإنسان المصنّعة، فقد جاء ذلك على لسان ابن جني عندما عرّف الصوت في كتابه "سر صناعة الإعراب" قائلاً: "اعلم أن الصوت عرضٌ يخرج مع النَّفَسِ مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشففتين مقاطعٌ تُثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطعُ أينما عُرِضَ له حرفاً"¹. ليفهم من نص ابن جني هذا؛ أن المقطع له دالتان²: واحدة تعني مخرج الحرف؛ وثانية تعني الحرف نفسه، والحرف في رأيي أولى. إذ من توالي الحروف تتشكل المقاطع، ومن المقاطع تتركب الكلمات، ومن الكلمات تُبنى الجمل والعبارات. ليكون الصوت بهذا سبباً رئيساً "يُظهر الكلام الملفوظ، كما يظهر الخبر الكلام المكتوب"³.

ولما كان الالتباس حاصلًا بين الصوت والحرف جاء التفريق بينهما كما عند ابن سنان الخفاجي حين قال: "فالْحَرْفُ في كلام العرب يراد به حد الشيء وحدته، ومن ذلك حرف السيف إنما هو حده وناحيته... وسميت الحروف حروفاً لأن الحروف حد منقطع الصوت، وقد قيل: إنما سميت بذلك لأنها جهات للكلام ونواح، كحروف الشيء وجهاته"⁴. فكان الوجود الفعلي للحرف تترجمه الكتابة، أما الوجود الفعلي للصوت فيتجمعه النطق.

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، و أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، بيروت، 2000، ج1، ص19.

² الحربي، مشعل صنت هليل، التفكير الصوتي عند الفارابي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2015، ص98.

³ بناني، محمد الصغير، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص111.

⁴ الرازي، الفخر، التفسير الكبير، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، طهران، ص29.

وقد أثبتت الدراسات اللغوية أثر الصوت في يقظة النفس وفعله البالغ في بعث رؤاها وذكرياتها ، وقد أكد علماءنا السلف أن الأصوات وإيقاعاتها أفعال في النفس من الصور والمعاني والأفكار، ف"الكلمة التي تقع في النفس الهادئة ، فتحيلها هادئة كغصة الموت، أو تقع في النفس الهادرة، فتحيلها وادعة ساكنة ، لم تكن الكلمة لتفعل ذلك إلا لأن كل صوت فيها وكأنه نفثة من نفثات السحر تفعل في الروح فعل الأعاجيب، فما بالك إن كانت الكلمات ربانية، بثها إعجازها الصوتي والنحوي، والبلاغي، والصرفي والدلالي، وإلا ما الذي سحر الوليد بن المغيرة حتى يصف النص القرآني بقسمه: "والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلأه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلَى، وإنه ليحطم ما تحته".¹، وإن أردنا اختبار النص القرآني بأنفسنا وعلى المستوى الأصواتي فقط، فلنتبصر قوله تَعَالَى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود/48]. ففيه نلغي تكرار حرف الميم ست عشرة مرة، دون أن نشعر في ذلك بشيء من العسر عند النطق بها، ولا بشيء من الثقل عند سماعها. ولو أردنا أن نضيف إلى هذا قوله تَعَالَى: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة/27]، لوجدنا فيه تكرار حرف القاف عشر مرات، ولا نكاد نشعر بتوالي هذا الحرف مع شدته وقلقلته، وجهده، واستعلائه، إلا بسهولة النطق، وسلاسة الألفاظ. وصدق الله تعالى حين قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر/22]. فهذا نحن - كما ترى في هذه الورقة- نحاول ادِّكار بعض من آياته المعجزة البليغة، من خلال سورة العصر، وبالاستناد إلى مستواها الصوتي فحسب، علنا نستنشق من عبق عطرها ما يفتح علينا أبواب الفهم والمعرفة المكنونة في سطورها.

¹ رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

2- البنية الداخلية للوحدات الصوتية في السورة وخصائصها النطقية

بناءً على نظرية هالي (1973) في تكوين الجذور في اللغات الطبيعية¹، والصيغ الصرفية، والجذوع، الذي اقترح فيها مكوناً صرفياً مستقلاً في إطار النظرية المعجمية، يعتبر هالي أن الصرفيات وحدات أساسية في المعجم يتم التمثيل لها بمتواليات من القطعات الصوتية التي تخصص بتقويسات معنونة بالنظر إلى بعض الخصائص النحوية، أما الكلمات التي لا يمكن التعبير عنها بواسطة سيرورات مطردة فتمنع "المصفاة" التي تشكل المكون الأخير في النموذج الصرفي توليدها، حيث تقوم بتصفية الكلمات الشاذة. وقد ميز هالي بين نوعين من قواعد تكوين الكلمة:

- قواعد تنطبق على الجذوع: وتشكل متوالية خطية و يمكنها أن تتوفر على بنية داخلية؛

- وقواعد تنطبق على الكلمات: تقوم على إعادة الكتابة وذلك بإلحاق بعض الخاصيات بالكلمات المشتقة، وذلك حين تتميز بخصائص تركيبية و دلالية مختلفة عن الكلمات التي اشتقت منها.

هذه القواعد تعمل بالطريقة نفسها في الصرفة الاشتقاقية، و الصرفة التصريفية و هي أقوى من القواعد الصوتية لأنها تعمل في جميع مراحل الاشتقاق بما فيها المعجم و خرج المكون الصوتي . وإذا كان المعجم يتوقف على الصرفيات و قواعد تكوين الكلمة و مصفاة الشذوذ، فهذا لا يؤدي بالضرورة إلى افتراض أن هذه الأجهزة تشتغل بشكل دائم في كل إنجاز لغوي، بل إن جزءاً كبيراً من المعجم يوجد مخزوناً في ذاكرة المتكلم و لا يستعمل قواعد تكوين الكلمة إلا عند سماعه لكلمة غير متداولة.

¹ تتساق هذه النظرية مع نظرية الصرف الموزع التي تعتبر أن الصياغة الصرفية ليست ثابتة في المعجم كجذور، وإنما تظل موزعة بين

مكونات النحو. M. Halle and A. Marantz: Distributed Morphology and the Pieces of (Inflection) (1993).

وفي سياق هذا الاشتقاق؛ نحاول اللحظة التوقف مع الكيفية التي تمّ بها تحديد البنية الداخلية للوحدات اللغوية في المكون الصّرافي لسورة العصر استناداً إلى قواعد تكوين الكلمة، ويقتضي الأمر مجموعة من المراحل نوردّها في القيود التالية:

أ- تكوين جذور لا تخرق قيود التأليف¹

العصر = ع ص ر√

الإنسان = ن س ي√

خسر = خ س ر√

آمنوا = أ م ن√

عملوا = ع م ل√

الصالحات = ص ل ح√

تواصوا = و ص ي√

الحق = ح ق ي√

الصبر = ص ب ر√

ب- تكوين صيغ صرفية:

العصر = / فَ عَ ل /

الإنسان = / إ فَ عَ أ ل /

خسر = / فُ عَ ل /

آمنوا = / فَ أ عَ لُ و أ /

عملوا = / فَ عَ لُ و أ /

¹ مبدأ حظر تجاوز المثلين المطلقين. أي منع التأليف بين صامتين مثلين في الجذر نفسه (لين 1973، وماكارثي 1979)، وابن دريد في الجمهرة 46/1.

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

الصالحات = /فَ اَ عِ لَ ا ت/

تواصوا = /تَ فَ اَ عِ ل/

الحق = /فَ ع/

الصبر = /فَ عِ ل/

ت- تكوين الجذوع بإفراغ الجذور في الصيغ الصرفية:

أمكننا بعد هذا التقييد أن نحدد جذوع المعطيات الواردة أعلاه كما يلي:

العصر = /ع - َ - ص - ر/

الإنسان = /إ - ن - س - َ - ا - ن/

خسر = /خ - ُ - س ر/

آمنوا = /ء - َ - ا - م - َ - ن - ُ - و - ا/

عملوا = /ع - َ - م - ِ - ل - ُ - و - ا/

الصالحات = /ص - َ - ا - ل - ِ - ح - َ - ا ت/

تواصوا = /ت - َ - و - َ - ا - ص - َ - و - ا/

الحق = /ح - َ - ق ق/

الصبر = /ص - َ - ب ر/

3- الخصائص الصوتية النطقية لصوامت السورة

استهل الله عز وجل سورة العصر بأسلوب القسم ﴿والعصر﴾ فكان المقسم هو الله سبحانه وتعالى لأنه الأنا المتحدث في لحظة إنزال النص. وابتدأه بهذا القسم الإلهي هدفه تعظيم المقسم به ولفت الانتباه إلى إشاراته وإيجاءاته، ومن ثم دفع الشك والريب اللذان قد يخالطا قلب الإنسان سواء المؤمن منه أم الكافر، ذلك أن الخطاب موجه للإنسان، وهو ما ينسجم مع مبدأ السور المكية التي كانت تركز في بداية الدعوة على العقيدة والتوحيد وبالتالي على الإنسان من كونه

إنسان بغض النظر عن معتقده ودينه. ليأتي التأكيد على المقسم به في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ بمؤكدتين اثنتين على مذهب البلاغيين حين يُنكر المخاطب الخبر، والمؤكدان هما: الأداة ﴿إِنَّ﴾ وصوت اللام في عبارة ﴿لَفِي﴾ ليستثني الله تعالى من قسمه وتأكيده هذين: المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، في إشارة بليغة إلى أن الإنسان الحقيقي هو المؤمن الذي يدخل في زمرة من عمل عملا صالحا ودعا إلى الحق والصبر، بل كانت حياته كلها مُعطرة بمسك الأعمال الصالحة، و مُسَيَّجة بقيمتي الحق والصبر. فكان الإيمان والعمل الصالح و قيمتا الحق والصبر - وفق هذا- ما يميز إنسانية الإنسان، ولا شيء غير ذلك.

وتماشيا مع هذا السياق الرباني، وفي تناغم تام مع دلالاته؛ تنجلي - وبشكل بليغ مُعجّر- أدوار الأصوات اللغوية في السورة وما تحويه من سمات الضعف والقوة، والشدة والتوسط، والجره والهمس، والاستعلاء والاستفال... كما بين الحاء والقاف في ﴿الحق﴾، حيث صوت الحاء المهموس المستفل الضعيف وكأنه يعبر عن غرابته وضعفه في المنطلق، ثم يتدرج في الإبانة والظهور والعلو الذي تعبر عنه سمات صوت القاف القوي الوقفي، بل وتقفيه وحدته اللفظية على ما هو وقفي بالذات أي صوت وقفي؛ يحمل في ثناياه ملحظا رمزيا رهيبا، مفاده الأمر الرباني بضرورة الوقوف عند معنى الحق والعمل به دون مُواربة كقيمة محمودة مرغوبة، وكونه مجهورا لأنه كما يقول علماء الأصوات "حرف أُشبع الاعتماد من موضعه، ومُنِع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت"¹، ثم إنه -فضلا عن ذلك- شديد لمنعه: "الصوت من أن يجري فيه"²، كما يمنع الحق شكوك الباطل من أن تجري فيه تماما بتمام. في حين تبدو أصوات الصاد والباء والراء في ملفوظ ﴿الصبر﴾ متباعدة على مستوى سماتها الصوتية، بين الاحتكاك والاستعلاء والهمس

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، وأحمد عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007، ج1،

ص75.

² نفسه، 75/1.

التفسير الصوتي والصوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

والصفير كما في الصاد، والشدة والانفجار والجهر والاستفال كما في الباء، ثم الاحتكاك والجهر والتكرار كما في الراء، وهذا بتباين الأجناس البشرية في تقبلهم وتفاعلهم مع قيمة الصبر ودرجته، على عكس مخارجها المتقاربة التي تمثلت في: أسلة اللسان، والشفتين، وذلق اللسان على التوالي، كثلاثية تكفي للتوكيد على وجوب اعتياد اللسان البشري ذكر الصبر مع ترطب الشفتين به، كقيمة مرغوب فيها إلى جانب الحق، بل ولعل ما يرمز إلى ذلك تكرار ويؤكد عليه صوت الراء نفسه الذي يقفو اللفظة، ويسير بها نحو مسارات إثبات الإيمان والريح للعبد إن عمل به وبالحق معا: أي وقفا مع الحق حتى لا يظهر الباطل عليه، وتكراراً للصبر حتى لا يتسرب الجزع فيه نفسه.

ولو تأملنا - أكثر - السمات الصوتية للأصوات الصامتة كلها؛ تلك التي تدخل ضمن النسيج الداخلي لتركيب السورة نلفي أنها تتوزع على 17 صوتاً صامتاً هي: (و، ل، ع، ص، ر، ء، ن، س، ف، ي، خ، ذ، م، ح، ت، ب، ق) اتسمت أولاًها المكونة لكلمة ﴿والعصر﴾: (و، ل، ع، ص، ر) بالجهر والاحتكاك والقوة وهذا تناغم تام مع مقام القسم بالعصر الذي يمتح قوته وصرامته من قضية الخسران التي نبه الله تعالى خلقه إليها في حالة ما إذا لم يُعمل بأمر الإيمان والعمل الصالح والتواصي بقيمتي الحق والصبر :

أما الأصوات التي نسجت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾، فليست بمنأى عن موضوع السورة، أو صلب وسائل التعبير فيها. ذلك أن أغلبها تفرد بسمة الضعف المتحلية في الرخاوة والهمس والاستفال ثم الاحتكاك ، وكل هذا يصب في سعي الإنسان الحثيث من أجل الخروج من دائرة الهوان والخسران، التي حشر نفسه فيها ظلماً وجهلاً منذ أن قبل بتحمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال حملها كما صرح بذلك الله عز وجل في سورة الأحزاب بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، الأحزاب/72.

والقصد في هذا؛ أن دائرة خُسر الإنسان محاطة بمؤكدين لفظيين اثنين، من جهة، وبصوت ضعيف تركز في قلب لفظي "الإنسان" و"الخسر"، هو صوت السين - كما أسلفنا - من جهة ثانية، باعتباره صوتاً مهموساً يضعف الاعتماد عليه عند خروجه مع النفس¹ فضلاً عن أنه لا يمنع الصوت أن يجري فيه،² ناهيك عن كون دلالة الخسران مستمرة ومتكررة بتكرار صوت الراء الذي أقفل اللفظة، والنون ليس ببعيد عن تواضع هذا الواقع سواء على مستوى استفاله أو انفتاحه أو توسطه.

لكن لا شك أن هناك استثناءً صوتياً، ينبثق من دنيا ربانية جديدة، محله الذين صدّقوا الله ووحّدوه، وآمنوا به وأطاعوه، وعملوا الصالحات، وأدّوا ما لزمهم من فرائض، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصي³، فهؤلاء يمثلهم جنس الإنسان بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد. فأصوات الذال، واللام، والنون، والميم، والعين، والصاد، والحاء، والتاء كلها تتماشى و سياق آية الاستثناء التي قال فيها تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾؛ وبالتالي سياق السورة كلها، من باب أن الأصوات - كما يعتقد جون فيرث زعيم النظرية السياقية - هي من أجدى المستويات اللغوية وأشدّها تأثيراً في معنى السياق الدلالي للنص⁴، بل ويرى أن النظام الصوتي في أي لغة يتكون من مجموعة تُنظم من الاختيارات التبادلية ومن المعنى، لأن هناك تلازماً ما بين الصوت والمعنى، فكل اختيار لصوتٍ ماهو إلا اختيار لمعنى⁵.

¹ انظر، القيسي، الرعاية لتجويد القراءة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط3، 1996، ص116. والخفاجي، ابن

سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص30.

² نفسه، ص30.

³ راجع تفسير الطبري.

⁴ تومي، غنيمة، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6،

2010، ص4.

⁵ نفسه، ص4.

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

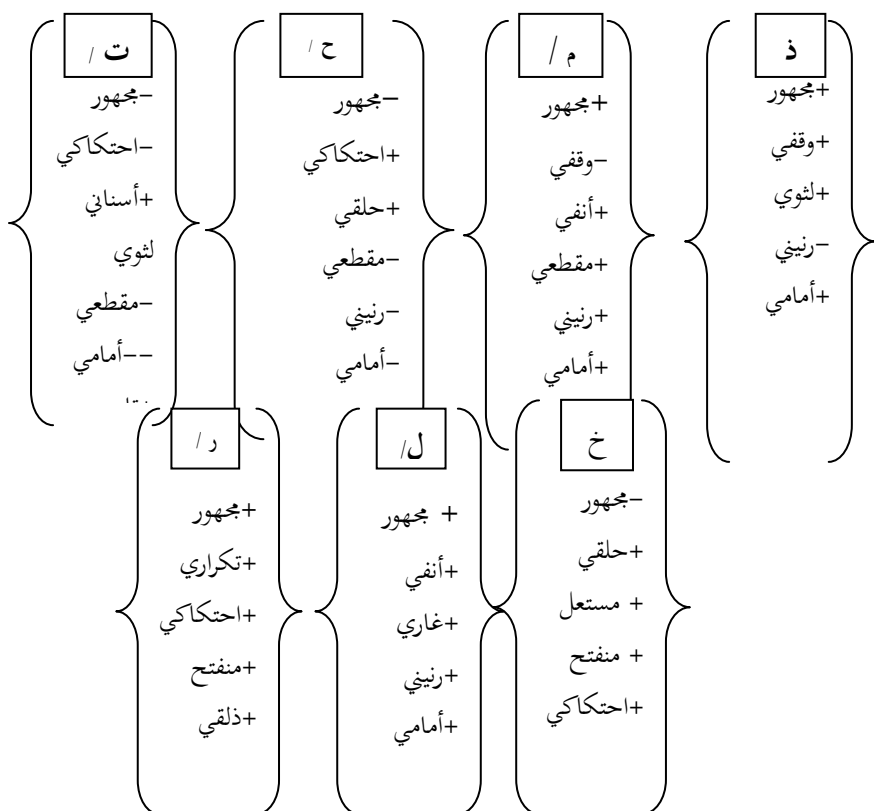
ولعل شيئاً من هذا؛ دفع الجرجاني قبله، إلى التمييز بين نظم الحروف ونظم الكلم " ذلك أن نظم الحروف - كما يقول - هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك ربما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ريض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق¹ فالحرف - وفق هذا - لا يحقق دلالة إلا مضمومًا لبقية حروف الكلمة بطريقة مخصوصة؛ من ذلك عدم الجمع بين حروف متقاربة في المخرج لئلا يحدث الثقل والتنافر لأن العربية لغة تجانس وخفة².

¹ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط5، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2004، ص4.

² النوي، مليكة، الإعجاز الصوتي في سورة الفاتحة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع23، 2010، جامعة باتنة، الجزائر، ص120.

ر / +مجهور +تكراري +احتكاك ي +منفتح +ذلقي	ص -مجهور +صفيري +احتكاك ي +أمامي +أسلي	ع / +مجهور +احتكاكي +حلقي -مقطعي -رنيني -أمامي	ل / +مجهور +أنفي +غاري +رنيني +أمامي	وا + مجهور - احتكاكي +طبقي -
ي / +مجهور +شجري +جوفي -أمامي +احتكاكي	ف / -مجهور +احتكاكي +شفوي أساني -مقطعي -رنيني +أمامي	س / -مجهور +أسلي -مستعلي +صفيري +أمامي	ن / +مجهور +أنفي +ذلقي +أمامي +احتكاكي	ء / +مجهور +حلقي -أمامي -احتكاكي -رنيني
د / +مجهور +تكراري +احتكاكي +منفتح +ذلقي	ب +مجهور +شفوي -احتكاكي +أمامي -مستعل	ص -مجهور +صفيري +احتكاكي +أمامي +أسلي	ق / +مجهور +لهوي -احتكاكي -أمامي +مستعل	ح / -مجهور +احتكاكي +حلقي -مقطعي -رنيني -أمامي

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً



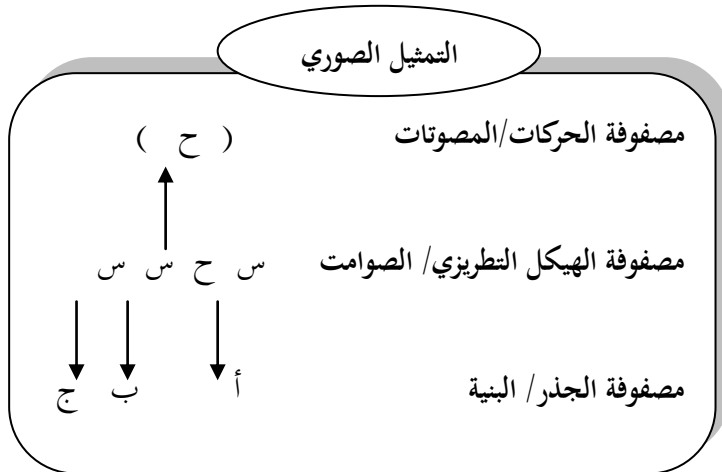
ولعل جو الخفة والتجانس والتواضع هذا؛ هو ما سيطر على مضمون آية الاستثناء المذكورة؛ وسيطر على مختلف أصواتها في مقدمتها أصوات اللام(9مرات) والصاد (5 مرات) والميم (مرتان) والنون(مرتان)، الحاملة لدلالة التقدير والإجلال من خلال توسطها، لأن المقام مقام التضرع والخشية، والإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَشَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ طه/108. ولأنه قول حق، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت/42. نستجمع المعطيات الصوتية أعلاه، تلك التي آمنا بدورها في نسج البنية الصوتية والنطقية لسورة العصر؛ ونختزلها أربع وحدات معجمية / صريفات نراها قد تربعت على عرش السورة ومحاوريتها هي: (عصر) و(خسر) و(حق) و(صبر) وقد جردناها من أداة تعريفها (ال) ليتضح لنا جليا مدى التجانس الصوتي الذي ميزها، سواء على مستوى صيغها الصرفية

الموحدة، (فَ ع ل) أم على مستوى توافق أعداد صوامتها وتقابل صفاتها في تأكيد تام للضعف والانكسار والخسر الذي يعتري الإنسان في عصره ما لم يعتصم بجبل الحق والصبر والعمل الصالح، وهكذا كانت:

- 4 أصوات مهموسة (ص / خ / س / ح) في مقابل 4 مجهورة (ر / ق / ب / ع)؛
- و 3 مستعلية (ص / خ / ع) في مقابل 5 مستغلة (ص / ر / ق / س / ع)؛
- و 2 شديدة (ق / ب) في مقابل 6 بين الرخوة والمتوسطة (ر / ص / خ / ع / ح / س)؛
- و 3 مفخمة (ص / خ / ق) في مقابل 5 مرققة (ر / ع / ح / س / ب)؛
- و 1 مطبق (ص) في مقابل 7 منفتحة (ب / ر / ح / ع / ق / س / خ).

بل ولهذه الوحدات المعجمية بنية تمثيلية صورية واحدة فضلا عن ذلك؛ هي (س ح س س

// ص ص ص ص) وفق ما تقول به نظرية الصوتاة المستقلة القطع والنظرية التطريزية (كولدسميت 1976، ماكارتي 1979 و1981، شاين 1986...)، تلك التي نرسمها على الشكل التالي:

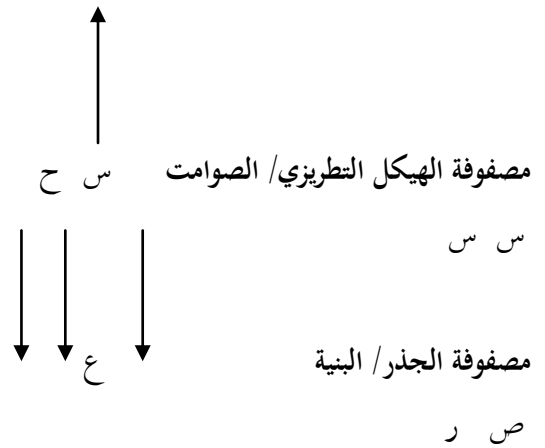
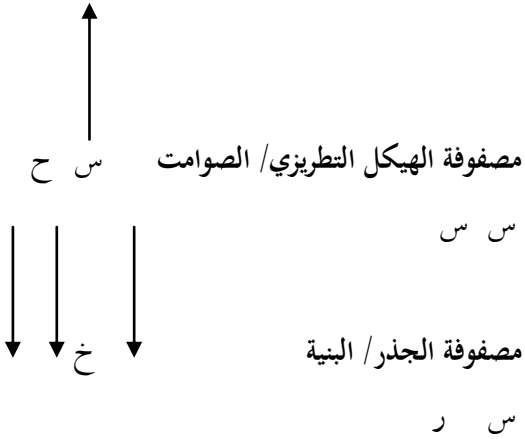


خُسْر

عَصْر

(ُ) مصفوفة الحركات/المصوتات

(َ) مصفوفة الحركات/المصوتات

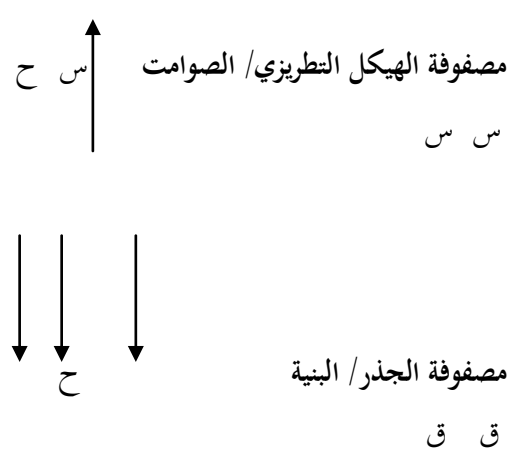
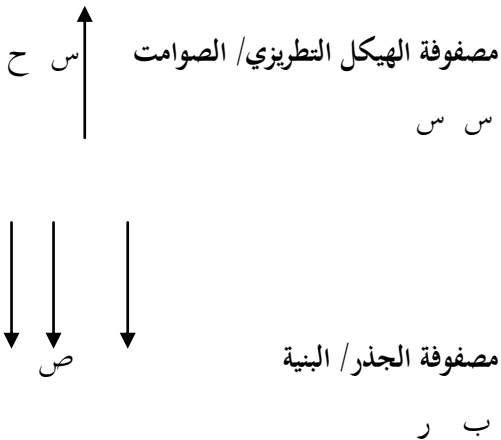


صَبْر

حَقّ

(َ) مصفوفة الحركات/المصوتات

(َ) مصفوفة الحركات/المصوتات



4- بنية المصوتات / الحركات في السورة

مما درج على ألسنة علماء اللغة المحدثين قولهم واقتناعهم بأن الدرس اللغوي القديم لم يفرد مباحث بعينها لما يعرف بالحركات¹ قديماً أو المصوتات والصوائت حديثاً (القصيرة والطويلة)، وأنهم "لم يمنحوها اهتماماً يعدل أهميتها ووظيفتها في البناء اللغوي، وبخاصة فيما يتعلق بالحركات القصيرة: [أَ ِ ُ]"². ولعل المشهور الذي أسس لهذه القضية؛ ووضع لبنتها الأولى بحسه الصوتي، وحرصه اللغوي ما رواه ابن النديم في فهرسه³ عن أبي الأسود الدؤلي (69هـ)، حين خاطب كاتبه لحظة بدء وضع الحركات مع الحروف قائلاً: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فضع نقطة فوقه إلى أعلاه، وإذا كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف، وإذا ضمنت فاجعل النقطة بين يدي الحرف وإن أتبعته شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين أي تنويناً». ولعل هذا التوصيف دشن لعهد جديد في الدراسات اللغوية القديمة، توالى معه النظريات والرؤى الصوتية في فهم دلالة الحركات ووظائفها حين تتساق مع الحروف. ففتح الفم وكسره وضمه عند النطق بالحروف المتشاكلة من شأنه أن يمنح المنطوق تلوينات موسيقيةً بحسب درجة الفتح أو الكسر أو الضم، فالأمر يتعلق ههنا بقيم إيقاعية أو تطريزية مرتبطة بالطول والقوة والعلو والتردد... وبناءً على مثل هذا النظر؛ اعتبر ابن جني الحركات أبعاض حروف المد واللين حين قال: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمّة

¹ رمضان، عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، صص91 - 107.

² بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة 2000، ص219.

³ ابن النديم، الفهرست، ج1، ص59. / وانظر كمال بشر في علم الأصوات ص220.

التفسير الصوتي والصوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة¹، وما يميز حروف المد عن الحركات هو الاتساع والوضوح، فمتى وسَّعتْ واحدة منها حصلت على الصوت الذي هي بعضه، وهذه في الحقيقة إشارة مهمة إلى عبقرية هؤلاء ووعيهم بالعلاقة بين الصوائت وأشباه الصوائت، "فالفرق الأساس إذن، ما هو إلا فرق في المدة والكمية، ومع هذا فهناك فرق في الكيفية أيضاً، إلا أنه فرق ثانوي بين المجموعتين"². وحرّى بهذا؛ أن ينتج عنه تباين على مستوى النغمات ودرجاتها وتأثيراتها على ما يجاورها من الأصوات.

ومن أوائل المعاصرين الذين عنوا بالحركات (الصوائت) بالشكل الدقيق حسب كمال بشر، نجد دانيال جونز الذي بدأ عمله بالنظر إلى عضوين مهمين في تكوين الصوائت، وهما: الشفتان واللسان باعتبارهما العضوان المتدخلان في تعديل شكل مجرى الهواء الصاعد من الرئتين. وقد نظر إلى اللسان باعتبار علاقته بالحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض، ثم تحديد الجزء الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض من اللسان، كما نظر إلى الشفتين من حيث ضمهما وانفراجهما، ومن حيث استقرارهما في وضع محايّد. فاستطاع من خلال هذه النظرية الوصول إلى ثماني حركات معيارية باعتبارها حركات واضحة ومحددة هي: u - o - a - α - ɛ - e - i ، كما أن هناك بجانبها حركات غامضة ك: ɔ ، على سبيل المثال³، وقد أورد كمال بشر هذه الحركات وأشار لكل منها بمثال في الفرنسية لمعرفة معرفتها ومعرفتها كيفية نطقها⁴:

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة 1، 2000، ص 21 :

² الغامدي، منصور بن محمد، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة-الرياض المملكة العربية السعودية، الطبع الأولى 2001 ، ص 126.

³ كمال بشر، علم الأصوات، م س، ص 225/226.

⁴ نفسه، ص 229/230.

قصيرة أو () الكسرة العربية المرققة si.....

i:طويلة

قصيرة () الكسرة العربية الممفخمة thê.....

e:أو طويلة

ومرساها :مجراها القرآنية القراءات في () الفتحة الممالة..... même.....

ع:بعض

قصيرة () الفتحة العربية المرققة la.....

a:أو طويلة

pαs.....

α:الفتحة الممفخمة

sonne.....

و:الضمة: نحو "صم"

الضمة rose.....

O:المفخمة

الضمة العربية المرققة gut.....

:U

وذهب إبراهيم أنيس إلى أن العربية تستعمل ستة من هذه الصوائت وهي ¹ :

- a :الفتحة العربية ؛

- α :تأثر الفتحة بأصوات التفخيم؛

¹ أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نضمة مصر، (د ت) صص 40-44.

- u :الضمة العربية؛

- e :الإمالة الشديدة؛

- ɛ :الإمالة الخفيفة؛

- i :الكسرة.

وإذا كنا نسلم بأن الأوتار الصوتية تُحدث سمتين رئيسيتين في الصوت هما: الجهر بالاهتزاز، والهمس بدونه، ووضع مؤخرة اللسان يُحدث تفخيماً بارتفاعها، أو ترقيقاً بانخفاضها... فمن شأن هذا أن يحدث تبعاً لذلك؛ تغييراً وتبايناً أكثر بفعل تدخل المصوتات القصيرة والطويلة باعتبارها مكونات صوتية لها وظيفة تغيير المعنى في بنية التركيب الصوتي، و في تشكيل نواة المقطع. إذ ترتبط بالمصوت على الأغلب سمات المقطع من الغلق والانفتاح والطول والقصر، إلى جانب القوة والضعف، وينماز المصوت داخل بنية التشكيل المقطعي بأنه يجذب النبر والنغمة والطول. فالمصوتات الداخلة في بنية التشكيل الصوتي لآيات سورة العصر أسهمت في إبراز الإيقاع التناغمي للنص القرآني¹، بهيمنة المصوت القصير: الفتحة [a]=[+عالي] ، ب23 مرة، في مقابل 13 مرة للكسرة [i]=[+خلفي]، و3 مرات للضمة [u]=[+مستدار]، وهي هيمنة تناغمت مع هيمنة المصوت الطويل وعلوه: الألف [ä] بسبع مرات على حساب المصوتين الطويلين الواو [ü] والياء [i] بمرتين اثنتين فقط . وعليه؛ فمدى الفتحة تراوح بين 100 و150 م/ث، بينما مدى الألف تراوح بين 220 و350 م/ث. فكان لتكرار المصوت الطويل: الألف [ä] أثر كبير في تحقيق هذا التناغم الإيقاعي المعجز في السورة بحيث تردد أغلبه في سياق الآية الثالثة والأخيرة من السورة، وهو سياق يحاول بإيمانياته ودعوته إلى العمل الصالح، أن يفتح آفاقاً رحبة وسعيدة للعبد، من خلال دعوته إياه إلى الالتزام بقيمتي الحق والصبر دون كلل أو ملل. أما تكرار المصوت القصير: الفتحة

¹ استيتية، سمير، الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، الأردن، 2002، ص247.

[a] (23 مرة) في الآيات فكان له بالغ التأثير في تكثيف النسيج الصوتي بالآيات، وإبراز الوحدات الإيقاعية بالقياس مع المصوتين الآخرين، مما يوحي بدرجة انفتاح وعلو ووضوح الرسالة التي أرادها الله تعالى من عباده في السورة، وهي تنبيهه تعالى عباده بالخسران الذي قد يعترض طريقهم، مقسما على ذلك بالعصر، إذا ما آمنوا وعملوا الصالحات.

5- البنية المقطعية للسورة

بين التحليل الصوتي الذي طوره عن المدرسة البنيوية كل من شومسكي وهال في كتابهما: "النسق الصوتي للغة الإنجليزية" عام 1968، والتحليل التطريزي/العروضي الذي نادت به مدرسة لندن بزعامة فيرث Firth ؛ فإن نظرية السمات المميزة تبقى إحدى أهم النظريات التحليلية والثابتة في الدراسات اللسانية، نظرا للأهمية البالغة التي يحملها مفهوم السمة المميزة في فهم تقلبات النظرية اللغوية في القرن 21. وعليه؛ يكون مفهوم السمة المميزة المقرر الوحيد لنوع الصياغة التي تتجلى في طبيعة التعاقب الفونيمي/الصوتي في الكلمات حتى لا تكون نشازا نغميا يؤثر على دلالتها وتركيبها.

والتركيب يضم بحسب فيرث سمة إيقاعية واحدة أو أكثر، قد تمتد على مجمل التركيب، أو على الجزء الأكبر أو كانت محددة فيه موقعا، أي على موقع واحد أو أكثر، أو كلمة واحدة وربما امتد إلى التركيب أو القول بأكمله وهي تشمل النبر (stress)، والتنغيم (Intonation)، والنغمة (Tone)، والمفصل (Juncture)، والطول (Length)، وبعض السمات الثانوية كالتأنيف (Nasalization)، والتشفية (Bilabilization)، والتحليق (Phyrrangalizin)، والتغير¹ (Palatalization). ولعل إدراكنا لهذه السمات الإيقاعية يتحقق بمدى قوة التجاور الكائنة بين الجزئيات من حيث اتسائها بالطول والتردد والشدة

¹ كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012،

التفسير الصوتي والصوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

على مستوى سماتها الأكوستيكية، أو موضع النطق على مستوى مخارجها، أو أسلوب النطق المتمثل في ثلاثية: الإغلاق والتضييق والتعديل، أو هيئة اللسان المنحازة إلى عمليتي: الانخفاض والاستعلاء، أو سمات النوع واهتزاز الوترين الصوتيين في مدى إحداث الجهر و الهمس، وأخيراً في هيئة الشفتين من حيث النظر في استدارتها من عدمه...

و دراسة الإيقاع الصوتي - وفي السور المكية القصار على وجه التحديد- غالباً ما يقتضي معرفة بنية التشكيل المقطعي، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال معرفة المقاطع وأنواعها وعددها من حيث الفتح والإغلاق، وكيفية توظيفها على مستوى القوة والضعف، إلى جانب معرفة طبيعة الأصوات داخل بنية الكلمة والتركيب النحوي، وكيفية تساقفه مع الإيقاع النفسي¹. وأهمية ذلك في جذب السمات الإيقاعية من النبر، والطول، والنغمة...الكائنة داخل المقطع ذاته على مستوى تجمع الصوامت والمصوتات. و"ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت بما يخرج منه فيه مداً أو غنة، أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع؛ أو الإطناب والبسط؛ بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوهما مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى²".

ولا يخفى على حاذق - في هذا السياق - ما للإيقاع من صلة وثيقة بمسألة الجمال الصوتي ، وهذا الجمال يؤدي إلى سرعة دخول المعنى إلى القلب، لأن الأذن تلتذذ وترتاح إليه³، لذلك يقول ابن القيم: "إن التذاذ الأذن بالصوت الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن، والشم بالروائح الطيبة،

¹ البرسيم، قاسم، منهج النقد الصوتي في الخطاب الشعري، ص38، نقلاً عن كوردبا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص27.

² الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1995، ص215-216.

³ القرني، حسن، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ص94-95، نقلاً عن كوردبا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

والفم بالطعوم الطيبة"¹، وبناء على ذلك فإن الإيقاع في القرآن الكريم جعله الله عز وجل أداة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان وهو بهذا آل إيقاعا قرآنيا في رصف أصواته وترتيب كلماته وبديع نظامه². كما أنها الميزة التي جعلت منه خطابا يتعالى على التبديل والتغيير، ويحمل في ثناياه شفرات المعاني ومفاتيح الدلالات، إلى درجة تمنحه خاصية التأثير في نفوس مستمعيه³.

وقبل أن نسترسل في تحليل هذه الأصوات وإبراز مكانتها الصوتية، دعونا نعود من بداية السورة نستحضر بنية تشكيلها الصوتي للمقاطع:

فَالْآيَةُ الْأُولَى ﴿وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (1) تتألف من اثني عشر (12)

مقطعا:

12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
رَ	خُ	فَ	لَ	نَ	سَ	إِ	نَ	إِ	رَ	عَ	وَ
نْ	سْ	ـِ	ـَ	ـَ	ـَ	نْ	لْ	نْ	صْ	صْ	لْ
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا
ص	ص	صا			صا	ص	ص	ص	ص	ص	ص

أما الآية الثانية ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ (2) فتتألف من

ثلاثة وعشرين (23) مقطعا:

¹ قاسم، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص138، نقلا عن كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

² حرير، محمد، البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن، ص1، نقلا كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

³ قاسم، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص138، نقلا كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

24	23	22	21	20	19	18	17	16	15	14	13
ل - ضَ	م -	ع -	و -	ن -	م -	ء -	ن -	ذ -	ل -	ل -	إ -
ص ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص ص	ص	ص	ص	ص	ص
ص	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا
				صا				صا		ص	ص

35	34	33	32	31	30	29	28	27	26	25
ق -	ح -	ب -	ص -	و -	ت -	و -	ت -	ح -	ل -	ص -
ص	ص	ص	ص ص	ص	ص	ص	ص	ص ص	ص ص	ص ص
صا	صا	صا	ص	صا	صا	صا	صا	صا	صا	صا
	ص	ص		صا						

في حين نجد الآية الثالثة والأخيرة ﴿وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ﴾ تتألف من سبعة (7) مقاطع

فقط:

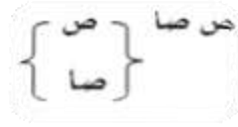
42	41	40	39	38	37	36
ر -	ص -	ب -	ص -	و -	ت -	و -
	ب	ص	و			
ص ص	ص ص	ص ص	ص ص	ص ص	ص	ص ص
	ص	ص	ص	صا	صا	

بمجموع اثنين وأربعين (42) مقطعاً، تتوزع في تناغم تام مع الآيات الثلاثة إلى ثلاثة نماذج

مقطعية هي:

- 17 مقطعاً قصيراً؛ من فئة (ص صا)؛
- و 25 مقطعاً متوسطاً تنقسم بدورها إلى:
- 9 مقاطع مفتوحة؛ من فئة (ص صا صا)؛
- 16 مقطعاً مقفلاً من فئة (ص صا ص).

مما يعني اختصاراً أن المقاطع الثلاثة هي في الحقيقة مقطع واحد قصير واضح يمثل الإيمان والعمل الصالح، وبمخرجين/ أو بنتيجتين اثنين: إما مفتوحة بالإيمان وبالتالي الربح، أو مقفلة بدونه وبالتالي الخسر:



6- المقطع الصوتي بين النبر و التنغيم

يتألف الكلام في عمومهم، وكلام النص القرآني بوجه خاص من جملة مقاطع صوتية متتابعة ومتراصة، بل ومتفاوتة في أطوالها و قيمتها الزمنية. وتفاوتها هذا؛ تنتج عنه قوة و ضعف بحسب الموقع الذي تحتله في السياق الصوتي. و عندما يتلفظ القارئ بالآية القرآنية فإنه يميل إلى عملية الضغط على مقطع خاص من كل كلمة فيها، فيجعله أبرز و أوضح في السمع من غيره من المقاطع. و مثل هذا الضغط يسمى في علم الأصوات ب(النبر). لذلك يعرف النبر بأنه الضغط على مقطع معين من الكلمة، ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السمع ، ونتيجة هذه العملية

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

تؤدي إلى زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين ، حين يشتد تقلص عضلات القفص الصدري، أما ارتفاع درجة الصوت فينتج من ازدياد النشاط العضلي في الحنجرة عند نطق المقطع المنبور¹ .

وبما أن المقطع يشكل وحدة إيقاعية مستقلة، يتوافق مع ما ذهب إليه ابن جني في تحديده للصوت² إلا أنه يشكل وحدة صوتية لها أساس علمي يعرض لها علم الأصوات من خلال مختلف تجلياته التطريزية والذي لاحظ علماءه أن بعض الأصوات اللغوية أوضح في السمع من البعض الآخر³، تلك التي تسمى بالحركات القصيرة والطويلة، ذلك لأن تتابع الصوامت والمصوتات وبمصاحبة السمات فوق القطعية مثل: الطول، والنغمة، والنبر... يشكل سمات إيقاعية له⁴ .

يشرح إبراهيم أنيس قضية النبر في واحدة من تجلياته فيقول: "إن اللهجات العربية تميل - في حالة الوقف - إلى نقل النبر إلى المقطع الذي قبله، وذلك لأن من يريد الوقف لا ينتظر بنطقه حتى ينتهي من جميع المقاطع، بل يبتز غالباً المقطع الأخير أو جزءاً منه، من آخر كلمة في جملته، وقد ترتب على هذا تلك الظاهرة التي سماها القدماء الوقف بالسكون، ففي الكلمات المنونة يحذف تنوينها، والكلمات المحركة الآخر سواء كانت تلك الحركة حركة إعراب أو بناء، تحذف حركتها"⁵ . ولقد فصلنا في مكان آخر⁶؛ ما يغنينا عن اجترار الكلام في موضوع النبر والمقطع. وحسبنا ههنا أن نستجلي طبيعة التعالق والتأثير الذي أحدثه النبر على مقاطع السورة قيد التفسير الصوتي، لنبين كيفية تموضعه داخل أصناف المقاطع وينسب متفاوتة على نحو ما يوضحه الجدول التالي:

¹ حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، القاهرة، ص 160.

² راجع: ابن جني، سر صناعة الإعراب، م س، ج 1، ص 19.

³ أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1952، ص 144.

⁴ كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، م س، ص 34.

⁵ أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 4، 1992، ص 146/145.

⁶ الموقت، حمادي، مقارنة صوتية للعروض العربي: المقاطع والإيقاع والتطريز، برينت بريس، ط 1، 2018، الرباط، صص 285-302.

المقطع	تردده في السورة	نوعه	نسبة المقاطع المنبورة	نسبة المقاطع غير المنبورة
ص صا (ص م)	17	ضعيف قصير	5	15
ص صا صا (ص م) (م)	9	قوي مفتوح	5	4
ص صا ص (ص م) (ص)	6	قوي مغلق	5	1

إذ نرى درجات الإيقاع الصوتي يتدخل فيها النبر. والنبر في السورة حاصل على مستوى مقاطع معينة ومتوافقة على مستوى العدد؛ كما في نهايات الآيات من جهة في حالة الوقف، على الرغم من أن الحقيقة القرآنية تقول بأن السورة لها وقف واحد في الأخير وبالتالي آية واحدة، إذا ما غرضنا الطرف عن النجيمات، ثم على المقطع ما قبل الأخير من الكلمات التي شكلت محور السورة كالعصر والخسر والحق والصبر...، وعلى المقاطع المتوسطة من الكلمات شبه الطويلة أو التي لها مقاطع طويلة مفتوحة كالإنسان وآمنوا، وعملوا، والصالحات، وتواصوا... إذ الضغط كان على مثل هذه الوحدات الوصفية التي تصف حال الإنسان المؤمن ودرجة استجابته لأوامر الله تعالى ونواهيه.

وبما أن النبر ليست له معايير أو قواعد علمية مضبوطة¹، فهو يرتبط بالدلالة السياقية ودلالة السورة على وجه التحديد، والطريقة التي يقرأ بها القارئ آياتها، وبحسب ما يسعى في تأكيده

¹ حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، م س، ص 164.

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

أو تقريره¹ بناء على درجة اندفاع الهواء بالنسبة لما سيؤكّد، أو علو الصوت بالنسبة لما سيُقرّر. وعلى هذا نرى تقاطعاً بين نبر الكلمات ههنا وتنغيم جملتها باعتبار السورة جملة واحدة طويلة. كما نبه إلى ذلك تمام حسان في حديثه عن علاقة التنغيم بالنظام السياقي أو ما أسماه بالظواهر السياقية، إذ قال: "وإن كان النبر على الكلمات في الجملة أو على كلمة واحدة في الجملة لإظهارها على بقية الكلمات الأخرى، فإن ذلك يكون نبراً سياقياً دلالياً نسميه التنغيم، ولا يكون التنغيم في الجمل إلا لمعنى"²، وفي هذه الحالة "تأتي النغمات المختلفة مصحوبة بسمات صوتية أخرى، كالنبر القوي لبعض المقاطع وتطويل الحركات مع بعض الحركات أو الإشارات الجسمية أيضاً... وكلها من أنماط التنغيم المختلفة تقود إلى الاختلاف أو التباين في المعنى السياقي... لهذه العبارة الواحدة حسب مقتضيات المقام أو السياق الاجتماعي"³ وكذا بحسب درجة تغيير طبقة الصوت فوق المقطع الواحد أو مقاطع متعددة وفق خصائص المصوت الواقع في المقطع ذي النغمة العالية، أو النغمة المنخفضة، ولعل هذا ما يمكن توضيحه على السورة من خلال الجدول التالي:

رقم المقطع	نوع المقطع	نوع مصوت المقطع	نوع الصامت الموجود بعد مصوت المقطع	نوع النغمة
2	ص صا ص	فتحة	ص/ مهموس	منخفضة
4	ص صا ص	كسرة	ن/ مجهور	طويلة
7	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة

¹ نفسه، ص 163.

² راجع: حسان، تمام، *مناهج البحث في اللغة*، م س، ص 163. وتام حسان، *اللغة العربية مبناها ومعناها*، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001، صص 304-310.

³ بشر، كمال، *علم الأصوات*، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 540.

9	ص صا	فتحة	-	
10	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
11	ص صا ص	ضمة	/س/ مهموس	منخفضة
13	ص صا ص	كسرة	/ل/ مجهور	طويلة
18	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
22	ص صا	فتحة	-	
24	ص صا ص	ضمة	/ص/ مهموس	منخفضة
25	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
27	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
29	ص صا	فتحة	-	
34	ص صا ص	فتحة	/ق/ مجهور	طويلة
36	ص صا	فتحة	-	
40	ص صا ص	كسرة	/ص/ مهموس	منخفضة

خاتمة

صفوة ما يمكن أن نختتم به هذه الورقة؛ بالرغم من أن السورة لم تُوفَّ حقها من البحث

والدراسة إلا أنه تم التوصل إلى نتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

- سورة العصر لم تحمل إعجازاً صوتياً فحسب؛ بل حملت إعجازاً لغوياً وعقدياً؛
- إن فهم معاني النص القرآني لا يقتصر على كتب التفسير أو بالضرورة أن تكون مستويات اللغة متضافرة، بل يكفي لذلك التفسير اعتماد البعد الصوتي فقط حتى يلبي المطلوب؛

التفسير الصوتي والصّوتي للنص القرآني سورة العصر نموذجاً

- إن دور الخصائص النطقية لأصوات اللغة كفيّلة بتحديد الإواليات المتحركة في توليد المعنى المعجمي للكلمة، والذي يتحول إلى معنى وظيفي حسب نظرية السياق كما سطر خطوطها العريضة فيرث؛
- إن الخصائص الصوتية لوحداث سورة العصر خصائص متناغمة ومتضامة حتى وإن بدت ظاهرياً غير ذلك؛
- اعتماد أصوات متباعدة المخرج أكسب الألفاظ تجانساً وانسجاماً. والله أعلم.

لائحة المصادر والمراجع:

1. ابن النديم، الفهرست، ج1.
2. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، و أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، بيروت، 2000، ج1.
3. ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة1، 2000.
4. استيتية، سمير، الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، الأردن، 2002.
5. أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952.
6. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة تحفة مصر، (د ت) .
7. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4.
8. بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة 2000 .
9. بناني محمد الصغير ، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال " البيان والتبيين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية1994.
10. تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001.
11. تومي، غنيمه، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6، 2010.

12. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط5، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2004.
13. الحربي، مشعل صنت هليل، التفكير الصوتي عند الفارابي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2015.
14. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، القاهرة.
15. الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982.
16. الرازي الفخر، التفسير الكبير، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، طهران.
17. الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1995.
18. رفيق، محمد بن أحمد، مكامن الدرر في محاور السور، دار الكتب العلمية، 2014.
19. رمضان، عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997.
20. الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، دار الصابوني.
21. الغامدي، منصور بن محمد، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة-الرياض المملكة العربية السعودية، الطبع الأولى 2001.
22. القيسي، الرعاية لتجويد القراءة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط3، 1996.
23. كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012.
24. الموقت، حمادي، مقارنة صوتية للعروض العربي: المقاطع والإيقاع والتطريز، برينت بريس، ط1، الرباط 2018.
25. النوي، مليكة، الإعجاز الصوتي في سورة الفاتحة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع23، 2010، جامعة باتنة، الجزائر.